

ما زال يعني أردوغان من التّحذير بأنّ الدّور على المَدِينَة ومكّة بعد القدس المُحتلّة؟

هل يَغْمِز من قناعة السعودية؟ ولماذا نَعْتَقِد بأنّ الشهيد إبراهيم أبو ثريا ليس مُقدّعاً لأن الإعاقة في العُقول وليس السِيَقان؟ وهل سَتُغيِّر انتفاضة "أهل الرّبَاط" المِنْطَقَة العَرَبِيَّةَ بأسْرِها؟

عبد الباري عطوان

الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ومُنْذ فَوْزِ حِزبه بالسلطة قبل 15 عاماً في انتخاباتٍ تُشرِيعيَّةٍ حُرّةٍ نزيحة، لم يَتَوَقّف عن الإدلاء بالتصريحات في مَواضِيع شَدِّى وَمُتَعَدِّدة، لكن ما وَرَد على لِسَانِه مساء الجمعة في خطابِ الْأَلْقَاه في مهرجان في إسطنبول، ربّما يُشكّل علامَةً فارقةً في حِيَاتِه السِيَاسِيَّة، لِمَا يَنْطَوِي عليه من دلالات، ورسائل في الْوَقْت نفسه، ونحن نَحْكُم على الطّوَافِر، أمّا البوابِطِين فـ[...] وَحدُوه جلـ[...] وَعَلَى الأعلم بـ[ها].

فعندما يُحذّر من أزّه "إذا فقدنا القدس فلن نَتَمَكّن من حِمَايَة المدينة المُنوَّرة، وإذا فقدنا المدينة، فلن نَسْتَطِيع حِمَايَة مكّة، وإذا سقطت مكّة، فسنفقد الكعبة المُشرّفة"، فهذا يعني أن الرئيس التركي يَشَعُّر بوجود خَطَرٍ حقيقيٍ يُهدّد المُقدّسات الإسلامية عليها، ويَرى أن من واجبه كسليل الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة، الانتفاض للدّفاع عنها كمُسلِّم مُؤمن باه رسوله ورسالته وعقيدته السّمحاء.

هذا التّصريح المُهم، بـ[...] والخطير، الذي جاءَ بعد يَوْمَين من انعقاد القِمَّة الإسلاميَّة التي تَرَزَّعُّ منها في إسطنبول، ربّما يَنْطَوِي على غَمْزٍ من قناعة القيادة السعودية التي قاطعت هذا المُؤتمر بطَرِيقَةٍ مُلْفَتَة، عندما خفّحت تمثيلها فيه إلى درجة وزير الأوقاف، وتَرَدَّد أزّها طالبَ دول عديدة بفَعل الشيء نَفْسَه لإفشاله، كما لوحظ أيضًا اهتمام الرئيس أردوغان بالعاشر الأُردني الملك عبد الله الثاني، الذي جَلسَ على يَمينه على مِنْصَة القِمَّة، وأكَّد في خطابِه الذي ألقاه على الرعاية الهاشميَّة للمُقدّسات الإسلامية، باعتباره حَفيَدَ محمد "الهاشمي" صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

من المُؤكّد أن الرئيس أردوغان عندما يُحدّر ميليار ونصف ميليار مُسلم يَنتشرون في أنحاء المَعمورة من خَطْر يُهدّد هذه المُقدّسات، فإِنَّه يُحدّد مَصدر هذا الخَطْر في إسرائيل والدُّعم الأمريكي المَفتوح لها لتهويدِها، وتحويلها، أي إسرائيل، قوَّةً إقليميَّةً عُظمى، تُهيمن على المَنطقة بأسْرِها، وتَستبعد غير اليهود فيها.

ربّما تكون هُناك أهداف سياسية خَلَفَ تحرّك الرئيس أردوغان هذا، خاصّةً أن القِمَّة الإسلاميَّة الأخيرة التي تَرَزَّعُّ منها أظهرت تحالفه القوي مع إيران التي تمثّلت برييسها السيد حسن روحاني، واعتباره النَّواة لمَحور إسلاميٍّ جديد غير طائفي، يَجمع المَذهبين الإسلامي الرئيسيين، السُّنة والشِّيعة، تحت سَقف واحد (جميع القِمَّم الإسلاميَّة التي عُقدت في السَّنوات الأخيرة في الرّياض استثنَت إيران منها)، ولكن لا يُمكن أن نتجاهل الأطماع اليهوديَّة، ليس بالمسجد الأقصى التي تتمثّل في زَعمِهم بأنَّه أُقيم فَوق هيكل سليمان، وإنّما أيضًا في المدينة المُنوَّرة، أو "خيبر" التي طَردهم منها الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وقال كلمته المشهورة "لا يَجتمع دينان في المدينة".

لم يُخفِّ الكَثير من القيادات اليهوديَّة مَطالبهم من العَودة إلى "خيبر"، وقالوا ذلك صراحةً أكثر من مرّة، واعتمدوا في ذلك على أدلةٍ تاريخيَّةٍ عديدة، بالطَّريقة نفسها التي تَحدَّثوا فيها عن القدس، وبأقي الأراضي الفلسطينيَّة الأخرى المُحتلة، بل أكثر شراسةً ويَتبعون أسلوب التدرج، اليوم القدس، وغداً المدينة المُنوَّرة، وبعد غَدٍ مكَّة المُكرَّمة.

أهل الرّباط في المدينة المُقدّسة، الذين اختارهم الخالق، جلَّ وعلا، للدفاع عن المسجد الأقصى، وبافي المُقدّسات العربيَّة والإسلاميَّة التي بارك الله بها، يَقومون بِواجهتهم على أكمل وجه، ويُقدّمون أرواحهم وما هم دفاعاً عنها بكلِّ رُجولةٍ وشَجاعةٍ، وارتفاع عدد الشُّهداء حتى الآن إلى أكثر من عشرة، والجَرحى بآلاف، في وقتٍ يَتنصلُّ الكثير من الزُّعماء العرب من واجبهم في ذُصرتها والدفاع عنها بطريقةٍ مُعيَّنةٍ ومُخجلةٍ، والأكثر من ذلك يُجا هرون بتَحالفهم مع القاتلة الإسرائيليَّين، ويتبا هون بالتَّطبيع معهم، باعتبارهم الحُلفاء الموثوقين الذين يمكن الاعتمادُ عليهم في مُواجهة أيِّ أخطارٍ يُمكن أن تهدِّدُهُم، ويُؤكّدون أنَّهم لم يَقتلوا مواطنَـا واحدَـا من مواطنِـيهـم.

الدَّفاع عن الأُمَّة الإسلاميَّة وكَرامَتِها ومُقدّساتِها يَبدأ في القدس المُحتلة، وخسارة المَعركة في تثبيت هَويَّتها، بل وسُقوط الأُمَّتين العربيَّة والإسلاميَّة أيضًا، وهذا ما يُدرِّكُه أبطال انتفاضة القدس، وشُهادُوها، وجَرحاها، ولا يُدركه زُعماء عَرب أعمامهم المال والغَطرسة والجهل والتَّخاذل، عن رؤية هذه الحقائق السَّاطعة.

جميلٌ أن يُطلق الرئيس أردوغان "قُنبلته" التَّحذيرية هذه، وعلى هذه الدرجة من الوضوح والشَّعور بالمسؤوليَّة، لكن التَّحذير وَحدُه لا يَكفي، إذا لم يكن مُترافقًا، ومُترافقًا، مع

خَطْوَاتٍ عَمْلِيَّةٍ تَرْدُعُ الْعَدُوَّينَ الإِسْرَائِيلِيِّ وَالْأَمْرِيْكِيِّ مَعًا، وَتُجْبِرُهُمَا عَلَى التَّرَاجُعِ عَنْ عُدُوانِهِمَا الْمُسْتَفْزِرِ بِتَهْوِيدِ الْقُدْسِ الْمُحْتَلَّةِ، وَالاعْتِرَافُ بِهَا عَاصِمَةً أَبْدِيَّةً لِدَوْلَةِ الْاحْتِلَالِ، نُرِيدُ مِنَ الرَّئِيسِ أَرْدُوْغَانَ أَنْ يَكُونَ الْقُدْوَةَ فِي هَذَا الْمَصْمَارِ، وَأَنْ يَتَمَاهِيَ مَعَ مِلْيَارٍ وَنِصْفِ المِلْيَارِ مُسْلِمٍ، يَشْعُرُونَ بِالْمَهَانَةِ وَالْإِذْلَالِ، وَيُطَالِبُونَ بِإِغْلَاقِ السَّفَارَاتِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ وَالْإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَفَرَضُ عُقُوبَاتٍ، وَدَعْمُ أَبْطَالِ الْاِنْتِفَاضَةِ الْثَّالِثَةِ، الَّتِي انْطَلَقَتْ وَلَنْ تَتَوَفَّفَ، بِإِذْنِ اللهِ، حَتَّى يَعُودُ الْحَقُّ إِلَى أَصْحَابِهِ.

شَرَارةُ الثَّورَةِ انْطَلَقَتْ، وَ"كُرْةُ دَمٍ" التَّضْحِيَاتِ تَكَبِّرُ وَتَكَبِّرُ، وَرِجَالُهَا عَاهَدُوا اللهَ وَصَدَقُوا فِي عَهْدِهِمْ، وَعِنْدَمَا يَتَحَدَّى الشَّابُ "غَيْرُ الْمُقْعُدِ" إِبْرَاهِيمُ أَبُو ثَرِيَا الْاحْتِلَالَ مَرَّتِينِ، يَفْقَدُ فِي الْأَوَّلِيَّةِ سَاقِيهِ بِصَارُوخٍ إِسْرَائِيلِيٍّ وَهُوَ يُقاومُ الْعُدُوَانَ عَلَى قِطَاعِ غَزَّةِ، وَفِي الْثَّانِيَّةِ حَيَاَتَهُ وَهُوَ يَرْفَعُ الْعَلَمَ الْفَلَسْطِينِيِّ، تَحَدَّى يَهُودَ في وَجْهِهِ جُنُودَ الْاحْتِلَالِ، فَإِنَّهُمْ هَذَا يَعْكِسُ إِرَادَةَ وَتَحْدِيدَ غَيْرِ مَوْجُودَةِ إِلَّا فِي أَرْضِ الرَّبَّاطِ، وَفِي زَمَانِ تَخُوصِ الْجُيُوشِ وَالطَّائِرَاتِ الْحَرَبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَحَدُثِ مَعَارِكَهَا صَدَدَ الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمِينَ الْفُقَرَاءَ الْمُعْدَمِينَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ رَغْيفَ الْخُبْزِ لِأَطْفَالِهِمْ، نَاهِيُكُمْ عَنْ وَسَائِلِ الدَّفَاعِ الْمَشْروعِ عَنْ أَنفُسِهِمْ، وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ هُنَّا دُونَ مُوَارِبَةٍ عَنِ الْيَمَنِ.

نعم إن إبراهيم أبو ثريما ليس مُقعداً، فالإعاقة ليست في السّيقان، وإنّما في العُقول، وغياب قيم العدالة والشّجاعة والإرادة، ولا نَتَرَدَّدُ في الجَنْزِمِ بِأَنَّهَا، أي الإعاقة، مَوْجُودَةٌ وَمُتَّصِّلةٌ في الكَثِيرِ، بل الأَغْلَبِيَّةُ مِنَ الزَّعْمَاءِ الْعَرَبِ.